ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:07، العدد:01 (2023)، ص259-274

الاحتلال الإسباني بالغرب الجزائري بين مقاومة الجزائريين وتمسك التاج الإسباني بوهران (1509-1792م)

The Spanish occupation in western Algeria between the resistance of the Algerians and the spanish crown stuck to Oran (1509-1792)

صباح بعارسية
جامعة خميس مليانة (الجزائر)
s.bearcia@univ-dbkm.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/02/25
تاريخ القبول:
2023/04/07

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الاحتلال
- ✓ غرب الجزائر
- ✓ القبائل الجزائرية
- ✓ مقاومة

الملخص:

هذه الورقة العلمية عبارة عن نظرة مصادر محلية وأجنبية خاصة للاحتلال الإسباني لجزء من الغرب الجزائري. حاولنا فيها إلقاء نظرة على الطرف الآخر (الإسبان). يهدف هذا البحث لدراسة ظروف كل من الجزائريين الذين كانوا محاذين للمناطق التي احتلها الإسبان في الغرب الجزائري مطلع العصور الحديثة، وظروف الإسبان داخل المناطق التي احتلوها. وقد توصلنا لنتيجة أن وضع الجزائريين في هذه المناطق كان أخف من وضع الإسبان في حصونهم، وأن طول المدة التي بقوها في الجزائر كلفتهم الكثير من الخسائر والمعاناة، وكانت محاولة مستميتة للإبقاء على المناطق المحتلة رغم أنها لم تُدر عليهم لا ذهبا ولا فضة كما حدث مع مستعمراتهم في العالم الجديد، وإنما لحسابات جيوستراتيجية، فقدت أهميتها في القرن 18م.

Article info

Received:
25/02/2023
Accepted:
07/04/2023

Key words:
- ✓ Occupation
- ✓ Western Algeria
- ✓ Algerian tribes
- ✓ Resistance

Abstract:

This scientific paper is a view of local and especially foreign sources, the Spanish occupation of a part of western Algeria. We tried to look of the other side (the Spaniards). This research aims to study the conditions of each of the Algerians who were adjacent to the areas occupied by the Spaniards in western Algeria at the beginning of modern times. We have come to the conclusion that the situation of the Algerians in these areas was lighter than that of the Spaniards in their forts and that the length of time they stayed in Algeria cost them a lot of losses and suffering, and it was a desperate attempt to keep the occupied territories, even though it did not bring them gold or silver, as happened with their colonies in the New World, but for geostrategic calculations, it lost its importance in the 18th century AD.

مقدمة

يُعد الاحتلال الإسباني في الغرب الجزائري أطول احتلال لمنطقة جزائرية خلال الوجود العثماني. ومنذ بداية القرن 10هـ/16م وسكان المنطقة يقاومون ويحاصرون الإسبان، رغم وجود قبائل جزائرية خضعت لهم وتعاملت معهم للحفاظ على أرضها ومصالحها المعيشية. وبعد التدخل العثماني، استمرت المقاومة وزاد حصار الإسبان بما كان يملكه الحكام العثمانيون من وسائل عسكرية، لهذا كانت الحياة داخل المناطق المحتلة قاسية، كثيرا ما دفعت الجنود الإسبان للفرار منها، ومنهم من فضل تغيير دينه المسيحي إلى الإسلام لينجو من تلك الظروف.

هل عاد احتلال الإسبان لمناطق بالغرب الجزائري بفوائد للتاج الإسباني؟ هل دامت مقاومة الجزائريين وحكامهم العثمانيين طيلة فترة الاحتلال؟ سنحاول في هذه الورقة العلمية إلقاء نظرة على حياة المحتلين الإسبان في الغرب الجزائري، ومدى معاناتهم داخل أسوار وهران من حصار الجزائريين لهم، وإن وُجد من القبائل الجزائرية من خضع لهم بدفع ضريبة، سمح لهم بموجبها الإسبان من استغلال المناطق المحاذية لوهران. ويكمن هدف هذه الورقة العلمية في تحديد مدى نفع هذا الاحتلال لإسبانيا، ومدى مقاومة الجزائريين لهذا الاحتلال. وقد اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي بحكم التخصص ولطبيعة الموضوع.

1. الغزو الإيبيري

عرف القرن10هـ/16م تعصب واستماتة يائسة للإسبان في محاربة المسلمين. وهذه الخلفية الدينية الإسبانية تعتبر المحور الأساسي الذي انبثقت عنه كل التحركات العسكرية التي اصطبغت بفكر صليبي أكثر خطورة وضررا من الفكر الصليبي الذي ساد في القرون الوسطى، حيث فرض ملك إسبانيا بالاتفاق مع البابا أداءً استثنائيا (ضريبة) على الإسبان هو الكروزادا cruzada لتمويل الحملات على بلاد المغرب (التميمي، 1978، ص 18 و8).

1.1. أوضاع المغارب في بداية القرن 10هـ/16م

مالت بلاد المغرب في مطلع القرن 10هـ/16م إلى التأزم نتيجة الأوضاع السياسية من غزو خارجي وتفكك داخلي، مما جعل الأمور تضطرب في كل أنحاء البلاد إلى حد كبير، وكان لكل ذلك أسوأ الأثر على مختلف الأنشطة الاقتصادية (العروي، 1999، ص 3).

فيما يخص الأوضاع السياسية، التي أثرت على بقية الأوضاع، كانت بلاد المغرب قبل التدخل العثماني مقسمة إلى ثلاث دول هي: دولة بني مرين ثم خلفائهم الوطاسيين في المغرب الأقصى، ودولة بني زيان في النصف الغربي للمغرب الأوسط (الجزائر)، ودولة بني أبي حفص في نصفه الشرقي وفي المغرب الأدنى. وقد عجزت هذه الدول عن مواجهة الغزو الإيبيري الذي استفحل في أواخر القرن 9هـ/15م، ولا سيما في النصف الأول من القرن 10هـ/16م، كما فشلت هذه الدول في التحكم في زمام الأمور الداخلية، لضعفها الذي نجم عن الافتتان على السلطة، ما أدى إلى تفكك داخلي كبير؛ فالحفصيون انقسموا إلى دولتين إحداها

بتونس والأخرى ببجاية، أما السواحل فاستقل كل ميناء بحكومته الخاصة، كما استقلت مناطق كثيرة عن بني زيان مؤلفة إمارات هنا وهناك، حيث لم تعد هناك حدود معروفة، وتداخلت الممالك، فعمت الفوضى السياسية (Julien, 1956, p. 157 et 250).

وإذا ما فصّلنا القول قليلا فيما يتعلق بالمغرب الأوسط، فإن دولة الزيانيين (634-958هـ/1236م-1551م) في النصف الغربي للجزائر في مطلع القرن 10هـ/16م قد أصابها الوهن، لأن احتلال الإسبان للمرسى الكبير سنة 911 هـ/1505م، ووهران سنة 915هـ/1509م، دفع المدن الساحلية الأخرى، مثل دلس ومدينة الجزائر وشرشال وتنس ومستغانم إلى تقديم ولائها إليهم خوفا من مصير مماثل لمصير وهران. وكذلك فعلت القبائل المجاورة للمواقع المحتلة، مما خنق تلك الدولة، وجردها من مواردها ودورها التجاري مع الممالك الأوروبية، وحتى مع السودان الغربي. وأفقد سلاطينها مكانتهم في نظر رعاياهم. لاسيما عندما تنازعوا على البقية الباقية من الملك، (Julien, 1956, p. 25) ومالوا إلى الاستعانة بعضهم على بعض بالإسبان والعثمانيين (Sandoval, 1872, p. 282)، فصاروا ألعوبة بين هؤلاء وأولئك.

إن سقوط وهران بالذات بيد الإسبان قد أزّم أمور الدولة الزيانية في الغرب الجزائري حيث اضطربت إلى حد كبير، لأن وهران كانت بوابة تلمسان على الساحل، وكانت تدر أموالا كبيرة عليها بفضل التجارة (Ruff, 1998, p. 28). وقد نجم عن سقوطها خضوع قبائل بني عامر والقبائل الأخرى المقيمة بأطراف وهران للإسبان (الزياني، 1972، ص 142)، مثل عرب سويد، الذين كانوا يقطعون السبل على الناس لنهبهم. واضطرّ السلطان الزياني، الذي تقلص ملكه كثيرا، إلى إبرام معاهدة صلح مع فرديناند الثاني (883-921هـ/1479-1516م)، ملك إسبانيا، سنة 918هـ/1512م (Mercier, 1888, p. 425)، وهو ما أنكرته عليه الرعية، فانتشر الاضطراب أكثر، وأصبحت القبائل متذبذبة في ولائها لهم، حيث خضع بعضها للإسبان ومال بعضها إلى الاستقلال عنهم أو إلى التعاون مع العثمانيين بعد استقرارهم في الجزائر. أما القبائل الأخرى فظلت مرتبطة ببني زيان الذين كان سلاطينهم يهادنونهم ويستميلونهم بالمال تارة وبالمصاهرة تارة أخرى (بلحميسي، 1975، ص 33).

ونجم عن ذلك التناحر على السلطة وهجومات الأعراب تدهور الأوضاع، وضياع هيبة السلطان. وأدى عجز الأمراء عن المواجهة والتحكم في زمام الأمور إلى تفكك كبير، وبروز وحدات سياسية صغيرة هنا وهناك، وبقيت فقط مدن الداخل تعترف بالسلاطين (السلطان الحفصي أو الزياني)، أما مدن الساحل فكانت إما مستقلة، أو محتلة من طرف المسيحيين. وبتراخي قبضة السلطة عاش سكان الجبال في فوضى، أما سكان السهول بالتل وسكان الهضاب العليا، وبعد ضعفهم انقادوا للقبائل القوية. كما رحلت بعض القبائل بسبب الصراعات القبلية... فتكونت مجموعات هجينة اتخذت تسميات جديدة، وزاد الوضع تأزما وصول الأندلسيين وتلاحق الحملات الإسبانية (Braudel F. , 1966, p. 211).

2.1. احتلال وهران والساحل الجزائري (916-911هـ/1505-1510م)

إن التطاحن على السلطة وهجمات الأعراب والهجرة الأندلسية وما تبعها من تحريض الأندلسيين لإخوانهم المغاربة ضد الإسبان، كل هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى تجرؤ الإسبان لغزو الضفة الجنوبية للمتوسط. انتبه لهذا الضعف والتفكك الإسبان، فقد كتب أمين الملوك الكاثوليك فرناندو دي زافرا De zafra، وكان كُلف منذ سنة 897هـ/1492م بمراقبة المسلمين عند عبورهم إلى ساحل الشمال الإفريقي، كتب مخاطبا ملكه سنة 899هـ/1494م: "**البلاد في حالة نفسية يظهر أن الرب أراد إعطاءها لجلالتكم**" (Braudel F. , 1928, p. 211).

هذه الأوضاع المتردية للغاية لبلاد المغرب جعلت الملك الإسباني يُقْدم على غزوها، بدعوى الرد على أفعال القرصنة التي كان يقوم بها المسلمون المغاربيون والمهاجرون الأندلسيون ضد سفن وسواحل الإسبان. هاجمت إسبانيا بعدة حملات سواحل الضفة الجنوبية للمتوسط، خاصة بعد ثورة المسلمين بجبال غرناطة سنة 907هـ/1501م (Mercier, 1888, p. 146).

وكان قد توقع بعض المرابطين هجوم الإسبان على الجزائر بعد سقوط غرناطة واحتلالهم لبعض المدن المغربية، فأنذروا السكان وحذروهم من الخطر الذي يهدد البلاد؛ مثل تنبأ سيدي ابن قهوة Guahua بسقوط المرسى الكبير في نهاية القرن 8هـ/15م. لم يصدقه أغلب الناس، خاصة بعد فشل حملتين إسبانيتين، لكن الحملة نجحت سنة 911هـ/1505م، بعد وفاة المرابط. (Berbrugger, 1866, pp. 353-354)

كذلك الشيخ محمد التواتي (القرن 10هـ/16م) الذي خاطب سكان وهران بقصيدة طويلة منها:

فلا تهملـــــــــوا أمر الأعادي فإنهم ... بحال اجتماع واتفاق وشـــــــدة

وقـد قطعـــــوا قطعا فإن ظفروا بكم ... فقد ظفروا طرا بأهـــل الجزيـــرة

ولا يحمي مرساكم ضعـــاف رجالكـــم ... ولا البدو يل تحـــميه أهل الجـــزيـــرة

فإن لهم بالطعن والضـرب خبـــــرة ... وكم قتلوا بالكـــفر أكبـــر فتكـــــة

(سحنون، 1973، ص ص 14-15)

وقال أيضا:

أيا أهل وهران انظروا نظر شفقة ... لبلدكم قبل أن تتـــــــــردت

وقبل مجيء المنشآت بيحـــــرها ... وأي قلوب عندها مستقـــرة

ولا تكلوها غيركم ولئن يكـــــن ... فمـــا غائب مثل المـــقيم ببلدة

(سحنون، 1973، ص 439).

ويوجد أمثلة أخرى عن مرابطين قالوا بمعرفة الغيب (بعارسية، 2015، ص 225)، فلا غرابة إذن أن تنتشر مثل هذه الروايات مع الغزو الصليبي لسواحل الجزائر، ومحاولة توغله نحو داخل البلاد، فقد أعطى الفرصة للمرابطين للدعوة للجهاد ضد الغزاة الإسبان (بعارسية، 2006، ص 19).

لقد تمكن الإسبان من احتلال أهم المدن والموانئ الساحلية؛ مثل المرسى الكبير ووهران وبجاية سنة 916هـ/1510م (كارداياك، 1983، ص 17). كما أن احتلال الإسبان للمرسى الكبير ووهران دفع المدن الساحلية الأخرى؛ مثل دلس والجزائر وشرشال وتنس ومستغانم إلى تقديم ولائها إليهم (Davity, 1636, p. 159)، وكان الإسبان بمجرد دخولهم وهران حوّلوا جامعها إلى كنيسة، وأُقيم بها في ذلك الصباح قدَّاسا (Berbrugger, 1869, p. 105). وتفصيل ذلك أن وهران تعرضت لمذبحة رهيبة، نشر خبرها الذعر في قلوب سكان بقية المناطق، فتسارع الحكام لتقديم الولاء للإسبان خوفا من تكرار المذبحة؛ فسارعت مستغانم لدفع الضرائب للإسبان بدل تلمسان، ثم دلس وشرشال. كما سارعت تنس من جهتها لتقديم الولاء لهم، وتحالفت مع الإسبان ضد القبطان العثماني عروج بربروسا (924هـ/1518م)، حيث طلب ابن حاكم تنس الزياني من الكاردينال كزيمينس Ximénes (923هـ/1517م)، سنة 922هـ/1516م، مساعدته لمحاربة بربروسا. وقام سليم التومي (922هـ/1516م) حاكم مدينة الجزائر، بوضع نفسه ومدينته تحت تصرف الإسبان سنة 916هـ/1510م (Feraud, 1873, pp. 315-316). وأقام الكونت بيدرو نافارو P. Navaro (934هـ/1528م) بنيون الجزائر، سنة 917هـ/1511م، الذي ضيّق على سكانها، مما دفعهم للاستنجاد بالإخوة بربروسا، الذين استقروا بجيجل (Haëdo, 1880, pp. 52-53).

2. موقف الجزائريين من الاحتلال

لا يجب أن يُعزى تردي الأوضاع إلى التناحر على السلطة فقط لأن للأعراب وللقبائل دورا في تدهور الأوضاع وضياع هيبة السلطان (بعارسية، 2006، ص ص 17 و20 و22 و23 و25-26). كما وراء انقسام قبائل الغرب بين موالية للإسبان وأخرى للعثمانيين خلفيات سياسية واقتصادية.

1.2. القبائل الخاضعة للإسبان

بعد سقوط وهران خضعت قبيلة بني عامر للإسبان، وكانت تقوم بتموينهم مقابل البارود والبنادق، وخضعت كذلك قبيلة سويد التي استحوذت على سهول وهران مقابل مساعدتها للإسبان (المشرفي، د.ت، ص 12)، كذلك قبيلة هبرة، التي كانت تدفع الضرائب لحاكم وهران. وكمية القمح التي كان يدفعها هؤلاء راعى فيها الإسبان حالة أفراد القبيلة الذين لا يملكون سوى خيماتهم، وأدركوا أن الضغط عليهم كثيرا سيدفعهم للانتقال لمناطق أخرى خارج سيطرتهم، ويفقد الإسبان بذلك أموالا ويد عاملة (كانت هذه القبائل تزرع الأرض المحاذية لوهران) يصعب تعويضها، ومرد ذلك أن الأراضي المحتلة من طرف الإسبان كانت نظريا ملكا لملك إسبانيا، لكن حاكم وهران كان يتمهل مع الأعراب، محاولا الحصول منهم على أكبر فائدة بعدل ومراعاة، مانحا بعض الامتيازات لأفراد منهم، وأحيانا كانت القبائل تعقد اتفاقا مع العثمانيين والإسبان؛ فكان هؤلاء وأولئك يساعدونهم

لتحصيل الضرائب من القبائل القريبة منهم وحتى في الأماكن البعيدة، ما يفسر تأخر دفع الضرائب (Aramburu, 1978, p. 48). رغم أنه "**لا يجوز البيع للكافر القوت والسلاح ولا ما يُصنع منه السلاح أثناء الحرب معه**" (الزياتي، د.ت، ص 11). وكان عروج حال دون هذه التجارة مما أثر سلبا على إسبان وهران، وأدى إلى معاناتهم وحصارهم بالمدينة (المشرفي، د.ت، ص 26). وذكر الجندي الإسباني سواراز Suarez (959-1026هـ/1552-1617م) أن خضوع بعض القبائل للإسبان كان لحماية قطعانها من برد الشتاء، غير أن من هذه القبائل، التي كانت تدفع ضريبة للإسبان (الرومية)، لم تكن تمانع في عبور مقاومين جزائريين أراضيها لمهاجمة وهران، كما أنها كانت تقوم بالتجسس لصالح المسلمين، وذلك بإخبارهم بإجراءات إسبان وهران لصد هجماتهم (Suarez, 1866, p. 198 et 352). وقد ألف سواراز كتابا يحذر فيه من مساوئ السياسة الإسبانية في طرد ونهب سكان منطقة وهران (auteur, 2023) .

ووصل خضوع بعض القبائل لدرجة التحالف مع الإسبان ضد حكام الجزائر العثمانيين، فقد ذكر حاكم وهران فاليخو Vallejo (1091-1096هـ/1733-1738م) أن شيخ بن داموس وشيخ المزوار لجآ إليه طالبين المساعدة ضد باي الغرب لطرد العثمانيين، وكان تحتهما محاربين كثر. استقبلهما الحاكم وطلب الإذن من ملكه، لكن هذا رفض رفضا قاطعا. ثم منحهما باي الغرب الأمان لكنه قطع رأسيهما عند ذهابهما إلى معسكر، عاصمة بايلك الغرب آنذاك (Vallejo, 1925, pp. 355-356).

2.2. القبائل المناوئة للإسبان

كما وُجدت قبائل جزائرية أخرى رفضت دفع الضريبة للإسبان؛ كبني راشد وبني زناتي وأولاد سليمان وأولاد موسى... (المشرفي، د.ت، ص 26). لقد تمتع المرابطون في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م وما بعده بمكانة كبيرة، فاقت مكانة الحكام في بعض المناطق، ربما للدور الإنساني الذي قاموا به في تلك المرحلة (إطعام عابر السبيل، إصلاح ذات البين...)، ولتفكير الناس البسيط المتقبل لكل رواية عن كرامات الأولياء مهما كانت بعيدة عن المنطق والواقع (بعارسية، 2006، ص 122)، من ذلك روايات ملأت كتابات محلية عن تنبؤات ومواقف لمرابطين بالغرب الجزائري، كان لهم دور في أحداث المنطقة وفي تحفيز القبائل المناوئة للإسبان لمحاربتهم.

مثال ذلك ما عانته القبائل المناوئة للإسبان وسكان الغرب الجزائري عامة الرافضين للاحتلال الإسباني، فقد أخبر المرابط الخير أبو الحسن علي أبو حسون العيدلي، أخبر عبد الرحمان الجامعي (1147هـ/1734م)، شارح "**أرجوزة الحلفاوي**"، أنهم كانوا "**لا يهنأ لهم نوم في بلادهم حوز وهران إلا إذا جعلوا من يحرسهم، ومهما ينم أحدهم تجده يهذي بإغارة النصارى عليهم ويصرخ في نومه من شدة خوفهم**" (الجامعي ع.، د.ت، ص 30).

وعندما غزا الإسبان وطن تسالة أسروا المرابط سيدي أبلاحة وبناته الثلاث سنة 952هـ/1545م (Guin, 1886, pp. 320-321)، وبقوا بوهران سنة كاملة إلى أن فداه وإحدى بناته شيخ أولاد سليمان أبو

عزة بن حميدة، و"**فدى الثانية الشحط شيخ أولاد علي والد دموش فزوجها له، وكثر بكاء الأم على الابنة الثالثة فدعا الأب وإذا بها مقبلة، وقالت: إني أمشط رأسي فنقر في طير فتبعته حتى أوصلني**" (الناصر، 2005، ص 130). في هذه الفترة لم تكن القصة غريبة إذا علمنا أن المسلمين ينظرون للمرابطين على أنهم نفوس محمية من الله، وذات علاقة خاصة مع عالم الأرواح، لأن ما يقوم به المرابط سر (رباني) على المسلم الإيمان به (بعارسية، 2006، ص 126).

وذكر الجامعي أن "**الفقيه العالم صاحب الفتاوى الجريئة سيدي محمد المصطفى القلعي الرماحي (1137هـ/1724م)، كان يسكن بأهله بيت من الشَعر في غابة قرب وهران يأوي إليه ليلا، أما نهارا فيذهب لداره ويقصد المسجد ويطالع الكتب ويقرئ الطلبة**"، وهذا خوفا من هجمات الإسبان، ليسهل عليه الهرب إلى الغابة إذا هاجمهم الإسبان (الجامعي ع.، د.ت، ص ص 29-30).

كما يجب الإشارة أن العلاقات بين حكام وهران الإسبان وحكام الجزائر العثمانيين كانت عدائية، لكن أحيانا كانت المصلحة تستدعي التعاون، من ذلك ما حدث حوالي سنة 1112-1113هـ/1700-1701م، عندما أعلن داي الجزائر الحرب على سلطان المغرب الأقصى، فعقد اتفاقيات مع حاكم وهران تسمح للجيش الجزائري بالمرور بضواحي وهران، وتزويده بالذخيرة. وافق التاج الإسباني وتُوِج ذلك بإعلان سلم بين الطرفين وتعيين قنصل إسباني بالجزائر، لكن هجوم حاكم وهران على قبائل المنطقة طلبا للضريبة وعقابا لبعضها أغضب باي معسكر الذي أبلغ الداي فألغيت الاتفاقية(Sandoval C. , 1872, pp. 64-65).

3. الحياة في المناطق المحتلة الـPresides

لم يكن احتلال الإسبان لمناطق بالغرب الجزائري يشبه احتلالهم لمناطق بالعالم الجديد، وإذا كان المغامر الإسباني هيرنان كورتاس Cortés (890-954هـ/1485-1547م) يحرق مراكبه في المكسيك ويتقدم قائلا: إما النصر أو الموت، فإن الإسبان بالغرب الجزائري كان وضعهم مختلفا، لشساعة الأرض وقلة عطاءها. وقد حاول ملك إسبانيا فرديناند الثاني ثم حفيده شارلكان (922-963هـ/1516-1556م) إقرار الإسبان بالأراضي التي سيطروا عليها دون جدوى، وأصبحت الحياة تعيسة ولا تطاق في وهران: الرطوبة تفسد المواد الغذائية، الرجال يموتون بالحمى، الجنود يموتون جوعا بطول المكوث (Braudel F. , 1966, pp. 185-186)

لقد دفعت إسبانيا لقرون ثمن سياستها بإفريقيا من دمها ومالها. كان ملوكها مهووسين بحرب صليبية ضد "**الكفار**" (المسلمين). في النهاية فشلت حملات الإسبان، ولم يتمكنوا من احتلال دواخل المدن التي احتلوها (Cazenave, 1922, p. 226). بينما يرى جوليان Julien أن المسألة الإفريقية كانت ثانوية بالنسبة للتاج الإسباني، رغم تفوق إسبانيا في التسليح. كما أن اهتمام الملك فرديناند الثاني الأكبر كان موجه لمنطقة البيرينيه Pyrénées ولإيطاليا (Julien, 1956, p. 253) . وهذا يفسر تخاذل التاج الإسباني في حل المشاكل التي كانت تعاني منها المناطق المحتلة في الغرب الجزائري.

1.3. وضع الإسبان في المناطق المحتلة

كان نتيجة هذه السياسة في المناطق المحتلة معاناة الحاميات الإسبانية بالغرب الجزائر، طيلة مرحلة الاحتلال، من حالة حصار الجزائريين لهم. عاش الجنود هناك حياة صعبة للغاية، فقد كان الغذاء سيء والراتب يتأخر (Julien, 1956, p. 253)، لأن هذه المناطق لم تكن من أولويات التاج الإسباني، كما ذكرنا أعلاه.

إضافة إلى أن معاناة الإسبان من حصار الجزائريين لهم أصبح لا يطاق (Cazenave, 1922, p. 228). حتى قبل حكم باي الغرب محمد الكبير (1213-1193هـ/1779-1799م)، محرر وهران. فقد كان راتب الجندي الإسباني بوهران والمرسى الكبير أقل من راتب الجندي الإسباني بإيطاليا، لهذا كان الجنود لا يعرفون وجهتهم إلا بعد الوصول لوهران أو المرسى الكبير، وذلك لتهربهم من الذهاب لهذه المناطق. تسببت هذه السياسة في بقاء الجندي الإسباني دييقو سواراز 27 سنة بوهران، رغم محاولاته العديدة للهرب بركوب السفن بطريقة غير شرعية. كان يسُمح للمرضى فقط بالذهاب إلى صقلية أو إسبانيا أحيانا. وأصبحت الحصون المحتلة ملجأ المنفيين من النبلاء والأثرياء المغضوب عليهم مدة عقابهم، مثل حفيد مكتشف أمريكا كريستوف كولمب (911-854هـ/1450-1506م)، لويس الذي أمضى عشر سنوات بوهران، من سنة 970هـ/1563م إلى سنة 980هـ/1573م، وهي سنة وفاته، وذلك بتهمة زواجه من ثلاث نساء (Braudel F. , 1966, p. 187).

كما منع ملك إسبانيا جنوده بوهران والمرسى الكبير من الخروج للغزو منذ سنة 971هـ/1564م، فتقاطر على وهران سكان الضواحي، من القبائل الخاضعة، يبيعون قمحهم وموادهم، لكن حاكم وهران بونزا Andrés Ponze (970-971هـ/1563-1564م) لم يُطع الأمر الملكي وقام بغزوة خارج أسوار المدينة، فرفع حاكم المرسى الكبير تقريرا للملك جاء فيه أن "**الأهالي لم يعودوا لوهران لبيع منتوجاتهم، وهجومات حاكم وهران سلطت على تلمسان سيوف العثمانيين**"(Braudel F. , 1966, p. 189)

كما يوجد روايات عن أسرى إسبان فضلوا دفع ثمن فديتهم في الجزائر حتى لا يتم تحريرهم وإعادتهم لبلادهم، تؤكدها حالات فرار سنوية من الخدمة العسكرية من وهران المحتلة، وصلت لمائة، وهم جنود إسبان هربوا من وهران لمدينة الجزائر في السنوات التي سبقت التحرير، إنه فرار اليائس. هذا ما أكده القنصل الفرنسي فالييير Vallière (1175-1177هـ/1762-1764م) في تقرير له: "**يعتقدون أنهم سيجدون مصيرا أحسن من مصيرهم في حاميتهم**" «**Ils croient trouver un meilleur sort que dans leur garnison**».. وحسب الإحصائيات فإن من مجموع 5.555 جندي و1.635 سجين استعملوا في أعمال التحصين، مات منهم، من نوفمبر 1733م إلى مارس 1738م، 2.039 (Merouche, 2000, p. 112)

2.3. نتيجة الاحتلال

لقد عانى إسبان وهران من حصار الجزائريين، فضرائب القبائل الموالية كانت قليلة حتى أن الحاكم فاليخو كتب، بعد زيارة تفتيشية لوهران والمرسى الكبير سنة 1146هـ/1734م: "**قايضت هنا إسبانيا أكوام الذهب بجبال من حجر، لن تأخذ (إسبانيا) أبدا من هذه الملكية أي شرف يفيد تجارتها أو انتشار المسيحية، وإذا كان ولا بد فلتحتفظ بالمرسى الكبير ولا تفرض ضرائب على القبائل المجاورة**" (Sandoval C. , 1872, p. 190).

ورغم احتلال الإسبان لنقاط على الساحل فإنهم لم يتمكنوا أبدا من التغلغل للداخل، حتى بعد استرجاعهم لوهران سنة 1144هـ/1732م. وكانت نية الدوق مونتميتر Montemar (1160هـ/1747م) (قائد الحملة التي احتلت وهران للمرة الثانية سنة 1144هـ/1732م بعد أن تم تحريرها من الإسبان سنة 1120هـ/1708م) التوغل لمعسكر ومستغانم، وبعث للملك الإسباني يستأذنه في ذلك، لكن هذا أمره بالعودة إلى وهران والاقتصار على التحصن بالمدينة، خاصة أن الإسبان أضحوا محاصرين فيها، وعندما لا يهاجمهم العثمانيين فالقبائل المجاورة لوهران تحاصرهم ولا تموّنهم بالمواد الغذائية، ومن كان يتاجر معهم من القبائل اعتبر متعاملا مع "**الكفار**". وأصبح التموين وحتى الماء الشروب يصل من إسبانيا فقط في السفن، ما جعل من وهران سجن ومحتشد. وكانت تعليمة ملكية (تعود لسنة 971هـ/1564م) حددت سعر المواد الغذائية التي تصل حصن المرسى الكبير بسعر وصول الإرسال وغالبا يكون الدفع بالديْن؛ نظام التسبيق الخطير هذا سهّل التعامل بالديْن الذي ما فتئ يتراكم على الجنود لأنهم كانوا يشترون من التجار المارين بالديْن، وكانت الأسعار ترتفع أحيانا بسبب عراقيل أو بمساهمة السلطات المحلية، وحتى يفر الجنود من ديونهم كانوا يهربون ويعتنقون الإسلام (Cazenave, 1922, p. 228).

ونبه فاليخو أن سكان وهران الإسبان، وبعد طول مكوث هناك، أصبحوا يتصرفون تصرف الجزائيين؛ فقد كانت مرضعات أبنائهم من الجزائريات، حرات وإماء، مثلهم مثل المنفيين الوافدين على وهران يعملون للربح والغنيمة. وخلص إلى نتيجة مفادها تأثر إسبان وهران بعادات الجزائريين بعد طول احتلال (Vallejo, 1925, p. 367) .

وهكذا نرى أن الاحتلال الإسباني لوهران، وإن كان له صيت سياسي في إطار الحرب الصليبية التي كانت قائمة في القرن 10هـ/16م بين المسلمين والمسيحيين، لم يعد لها ذلك الصيت في القرن 12هـ/18م، ولم تعد من أولويات سياسة التاج الإسباني، لانشغاله بأمور أخرى في سياسته الأوروبية، فتخاذل في تموين المناطق المحتلة بما تحتاجه من مواد غذائية وفرق عسكرية، بل جعل منها مناطق لعقاب الخارجين عن القانون الإسباني، بنفيهم لهذه المناطق. علما أن الجزائريين كانوا يقيمون حصارا على هذه المناطق.

4. المقاومة

بدأت المقاومة ومحاربة الإسبان منذ الوهلة الأولى للاحتلال، وحتى قبل أن يسيطر حكام الجزائر الجدد على كل المناطق الغربية، عدا وهران. ذلك أن الجهاد لا يتوقف "**على وجود الإمام ولا على إذنه في الجملة، وذلك شرط كمال لا شرط وجوب، ومن المعلوم الواضح أن الجهاد مقصد بالنسبة إلى الإمامة التي هي وسيلة له، فكونه في غالب العادة لا يحصل على الكمال إلا بها، فإذا أنكر حصوله دونها لم يبق معنى لتوقفه عليها**" (الزياني، 1972، ص ص 157-158).

1.4. قبل التحرير النهائي

تتجلى مقاومة الجزائريين في معارضتهم للاحتلال الإسباني لوهران، واتصال المرابطين بشيوخ القبائل وأعيان بني عامر وزناتة طالبين منهم التجنيد للمواجهة (الجامعي ع.، 2003، ص 14).

وقد عُثر على وثيقة تعود لسنة 954هـ/1547م تعهّد فيها سكان قبائل أنقاد، بني سنوس، تزارة، مطغرة وبعض أعيان تلمسان بإحياء الرباطات وإمدادها بالرجال والعتاد والمؤونة... وكان على رأس هذا الاتفاق المرابط سيدي اليعقوبي (بعد 954هـ/1548م) (سحنون، 1973، ص ص 19-20).

وذكرت فيرون Véronne أن مرابطا قتل سنة 1557م بعد أن حارب الإسبان مدة عشر سنوات، عندما هاجم حاكم وهران دون مارتن القرطبي Don Martin de Córdoba (940-965هـ/1534-1558م) دوار المرابط، فقتله وأسر 260 من السكان، بما فيهم زوجة المرابط وأخته وابنيه (Veronne, 1987, p. 169). كذلك نداء أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلى السجلماسي (1021هـ/1612م) للجهاد ضد الإسبان مع علماء الجزائر، قال:

فهل من مبلغ قبائل عامـــــر ولاسيما من قد ثوى تحت كافر...

ويا معشر الأتراك يا كل عـــالم وكل ولي حافـــظ الأوامـــــر

أناشدكم بالله ما عذركلكـــم لدى الله في وهران أم الخنـــازر

أذلكم الجبار كيف رضيتـــم بسبي العـــذارى من بنات الأكابـــر

فصرتم من جور البغاة كأنكـــم يهود الجزا تعطونها بالأصاغـــر...

عليكم أكاف الذل أين فحولكم أما أبصرتم في الســـبي غير الحرائر

وتحت اليهود غادة عربيـــــة يعاليها والخنزير فوق الهزابـــر

(الزياتي، د.ت، ص 156 و10).

وجاء تدخل العثمانيين بمثابة إنقاذا للوضع، حيث تمكنوا بمساعدة الجزائريين، من رد الإسبان على أعقابهم، وحاصروا فلولهم في وهران والمرسى الكبير لأكثر من قرنين من الزمن. وكان للمرابطين أثر في

الدعوة لمحاربة الإسبان ونبذ الانقسام بين المسلمين، من ذلك الدرس الذي أفحم به المرابطون شعبان باشا الجزائر(1099-1106هـ/1688-1695م) ومولاي إسماعيل (1139-1082هـ/1672-1727م)، سلطان المغرب الأقصى، خلال الحرب التي قامت بينهما سنة 1103هـ/1692م، مذكرين أنه من العيب أن يتقاتل المسلمين بدل الاتحاد وتحرير وهران وسبتة، وسُمعت أصواتهم، وتم التوقيع على هدنة بين الطرفين (Grammont, 1882, p. 135).

ومن الروايات المحفزة لتحرير وهران رواية تنبؤ عبد الرحمان الثعالبي (875هـ/1470م) بفتح وهران، فقد روى الحاج أحمد الصغير أنه قدم الجزائر، وبات ثلاث في ضريح الثعالبي فرأى في المنام الشيخ وأعلمه أن وهران ستفتح، فرد عليه: "**كيف وقد باعها الهواري (843هـ/1439م)**"، فقال: "**هو باعها والناس اشتروها بعده من الله**" (سحنون، 1973، ص 447). لهذا استصرخ أبو عبد الله المهدي الجزائري، الولي الهواري لرد وهران للمسلمين، وذلك سنة 1116هـ/1704م:

جئناك يا شيخ العلا نتوسل ونروم غيثا من نوالك يهطل

بمشفع صفا عليك قبوله وقضاء حاجة من به يتوسل

(الجامعي ع.، 2003، ص 40).

ويستثير أبو عبد الله محمد القوجيلي الجزائري الباشا حسين خوجة (1116-1118هـ/1705-1707م) قائلا:

ولتلتفت نحو الجهاد بقـــوة والكفر فاقطع أصله بدركـور

جهز جيوشا كالأسود وسرح تلك الجوارئ في عبـاب النجود

(الجامعي ع.، 2003، ص 43 و89).

من أمثلة مقاومة الجزائريين كذلك مقتل أبي عبد الله الموفق التلمساني نسبا، المالكي مذهبا قرب البرج الأحمر في معركة ضد الإسبان سنة 1118هـ/1706م، ويُحمل إلى تلمسان ويدفن قريبا من تربة الإمام السنوسي (895هـ/1490م)، ويصبح قبره مزارا، يُقصد في قضاء الحوائج وتفريج الكرب (الجامعي ع، 2003، ص 24). كما مدح المرابط "**الشيخ الرباني أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم الشهير بالقرومي**" الباشا محمد بكداش (1122-1118هـ/1707-1710م) واستثاره لفتح وهران:

الله أعلم ما أقاسي من جـــوى عمن بوهـران مـن ذوي الأحلام

يا أمير جيش قد علينا تطاولـت أيام فتحك لم تحن بتمـــــام

فانهض بعسكرك العرمرم واستعن بالله ينصركم على اللئـــــام

(ميمون، 1981، ص 130).

ويرابط الشيخ أحمد بن ثابت بوادي إفري مع طلبته، خلال الفتح الأول لوهران سنة 1120هـ/1708م "**فكانوا أشد الناس مسارعة لإجابة دعاء السلطان بكداش لهذا الجهاد المبارك**"، فالطلبة "**رهبان بالليل، أسود بالنهار، ينشغلون بتلاوة القرآن بالليل ويراقبون الكفار بالنهار، فإذا خرجت طائفة منهم إلى الوادي هاجموها فتعذر عليهم الخروج إلى مزارعهم ومغارسهم... فقد حاصروهم محاصرة شديدة**"، و"**كانت بينهم وقائع كثيرة استشهد فيها كثير من الطلبة**" (الناصر، 2005، ص 35).

2.4. التحرير النهائي

جاء التحرير النهائي لوهران والمرسى الكبير بعد صولات وجولات وحملات إسبانية على إيالة الجزائر، وفي الأخير عُقد الصلح بين الطرفين سنة 1199هـ/1785م، لكن دون تسوية مسألة وهران (غالم، 2018، ص 6)، ومقاومة عنيفة للجزائريين، بعد تعبئة المرابطين والشيوخ الدينيين.

1.2.4. التعبئة

عارض المرابطون أينما وجدوا الاحتلال الإسباني لوهران، واتصلوا بشيوخ القبائل طالبين منهم التجنيد أفراد قبائلهم للمواجهة (الجامعي ع.، 2003، ص 14). واستصرخ المرابط سيدي أبو عبد الله محمد بن عبد المومن، الداي حسن (1205-1212هـ/1791-1798م) على أخذ وهران قائلا:

نادتك وهران فلب نداهـــــا وأنزل بها لا تقصدن سواهـــا

واحلل بها تيك الأباطح والربـــى واستصرخن دفينها الأواهـــا

قد طالت ما لبثت بها ريح أسد حتى استباحوا أرضها وحماها

(الناصر، 1886، ص 8).

ويرابط مرابطو جبل المايدة على مقربة من وهران، يُدرِّسون هناك ويثبطون همة الإسبان ويحولوا بينهم وبين ما يأتيهم من الخارج من أسلحة ومؤن (هطال، 1969، ص 19).

وإليهم يشير أحمد بن سحنون في أرجوزته " **الثغر الجماني**":

فكم بنى في الثغر من أشراك لأهل وهران ذوي الإشراك

وقرر للمرابطين فيـــــه مرتبا للكل ما يكفيـــــه

وهي إذ ذاك بلاد كفـــــر لم يحظ من يقصدها بالظفر

(هطال، 1969، ص ص 19-20).

والكلام عن الباي محمد الكبير الذي أعفى المرابطين من الضرائب.

وتفزع قبيلة هبرة، بعد أن هاجمهم إسبان وهران رغم أنها كانت من القبائل الخاضعة، لعبد المؤمن بن عبد الرحمان فيهدئهم قائلا:" **لا خوف عليكم، هم غنيمة لكم**"، ولم يخرج من خلوته، وكانت هبرة بشرق وادي

هبرة والعدو بغربه، فبينما هم "**في الرجاء والخوف إذا بوادي الحمام أتى حاملا حملة منكرة، وكذلك وادي سيق، فصار العدو بين الواديين في الغرق، فركبت هبرة قتلا وغرق أكثر الإسبان، وأخذت هبرة دوابهم وأثقالهم، ومن ثمة سمي سيدي عبد المؤمن بحمّال الويدان للآن**" (المزاري، 2009، ص 211). ولا غرابة في الأمر فقد كانت المرابطية في القرن 10هـ/16م وما بعده ظاهرة عامة ببلاد المغرب عموما والجزائر خصوصا، واعتبر المرابط وليا معصوما، يعلم الغيب وتنشده كل فئات المجتمع، طالبة منه الدعاء والبركة والخير (بعارسية، 2006، ص 113 و184 و 193و 195).

2.2.4. التحرير

بدأ حصار وهران قبل الزلزال الذي ضرب المدينة سنة 1205هـ/أكتوبر 1790م، لكنه فشل نتيجة وصول الإمدادات من إسبانيا والخلل في خطة الحصار (غالم م.، 2018، ص 6). وبعد الزلزال ثم معاهدة الانسحاب مع إسبانيا (3 محرم 1205هـ/12 سبتمبر 1791م) بدأ نداء الجهاد، خاصة وأن المرابطين ألهبوا النفوس بتنبؤات ورؤى في الانتصار على الكفار، وأضحت سنة 1205هـ/1791م هي السنة التي أرادها الله لفتح وهران. وفسروا انسحاب الباي لستة أشهر كعودة الرسول ﷺ بعد صلح الحديبية، وشبهوا ذلك الحصار الذي كان في رمضان بفتح مكة. وقد اعتمد الباي محمد الكبير، سواء لحنكته السياسية أو لإيمانه الصادق، على المرابطين وجاء برايات الأولياء (Gorgous, 1858, p. 228). (ذكر قورقوس Gorgous أنه عند تنصيب راية الولي ابن عودة (1034هـ/1624م) على المدفعية، أسقطتها قذيفة إسبانية، فقال جندي: "**أي ولي أنت تترك رايتك يسقطها الأعداء**") (Gorgous, 1858, p. 232).

وكان ذلك بعد أن أكمل الباي محمد الكبير استعداداته العسكرية (عاد لمعسكر لوضع خطة عسكرية جديدة وإعداد الجيش وتزويده بالمدافع التي أتى بها من جبل طارق، ثم تنقلّه من جديد إلى وهران لإحكام حصارها الأخير (غالم، 2018، ص 6) فدعا الناس للجهاد، وبعث إلى المناطق البعيدة، وأُوتي بجميع أعلام أوليائها: سيدي عبد الرحمان الثعالبي وسيدي بومدين (594هـ/1198م) وسيدي بن يوسف (927هـ/1521م) وسيدي محمد بن عودة المذكور أعلاه، و"**مقامات شيخ الحضرة سيدي عبد القادر الجيلي (561هـ/1166م)، وغيرها ليحضر بها القتال تبركا بها واستعانة بأهلها**" (الناصر، 2005، ص 38). وطلب من الناس أن يقيموا بجواره حتى يتمكن المرابطون فيه من التزود بما يحتاجون، ومنع إقامة أسواق في غيرها، وبنى للمرابطين ثلاث رحاوات في واد مسرغين لطحن الحبوب، وكلفهم أن يُشدّدوا هجوماتهم ضد الإسبان (الجامعي ع.، د.ت، ص 25).

وأشرف بنفسه على الرباط الذي كان يحاصر وهران في تسليحه وتنظيمه؛ فعيّن له رئيسا ومساعدين، وأرسل رُسله لتجنيد الطلبة، ومنع التدريس بكامل البايلك إلا في الرباط. وكان يقوم بتموين الطلبة المرابطين بالمال والمؤن، ويتدخل في فصل الخصومات بينهم. فاجتمع له نحو 500 طالبا، كانوا يمنعون الإسبان من الخروج للوادي (سحنون، 1973، ص 78). غير أن هذه المليشيا التقية اتسمت، كما وصفها إيفر Yver،

بعدم الانضباط، ولكثرة الشجارات بينها وبين باقي الجيش، سرحها الباي قبل نهاية الحصار (Yver, 1906, p. 125).

دخل الباي محمد الكبير مدينة وهران يوم الاثنين 4 رجب 1206هـ/27 فبراير 1792م، في احتفال بهيج وتوجه إلى المرسى الكبير، ثم كتب إلى الداي حسن باشا، يبشره بالفتح. ودعا الباي مختلف المناطق من الإيالة ومن المغرب الأقصى لتعمير المدينة (بلروات، 2004، ص 269). وكان لتحرير وهران والمرسى الكبير النهائي آثارا إيجابية، فقد أبعد الخطر الإسباني عن الإيالة، واستعادت وحدتها الترابية. وهذا التحرير جسّد التحام الجزائريين بحكامهم العثمانيين (بلروات، 2004، ص 269). لكن بعد خروج الإسبان من وهران لم يعد لوجود العثمانيين في الجزائر مبررا، فاستيقظت الأفكار الاستقلالية، بسبب السياسة الضريبية التي انتهجها الحكام بعد تراجع مداخيل البحر.

خاتمة

بقي الاحتلال الإسباني للغرب الجزائري شوكة في حلق الجزائريين، وذريعة للحكام العثمانيين في الجزائر لشرعية وجودهم، على أساس محاربة "الكفار" وحماية بيضة الإسلام. رغم أننا رأينا أن جزء من القبائل الجزائرية خضعت للإسبان وتعاملت معهم اقتصاديا وتجاريا، لكن في نفس الوقت رأينا قبائل أخرى رفضت الخضوع وقاومت لوحدها، ثم بعد استقرار العثمانيين بالجزائر تحالفت معهم، وقاد الطرفان مقاومة متواصلة ضد الإسبان وحلفائهم من الخاضعين لهم. وقد عاش الإسبان بوهران تحت حصار متواصل من طرف الجزائريين وبايات الغرب، حتى أصبحت الحياة داخل وهران قاسية لدرجة أن عدد كبير من الجنود الإسبان كانوا يفرون منها، وكثير منهم فضّل ترك دينه واللجوء لمدينة الجزائر هربا من تلك الحياة البائسة التي كانت داخل مدينة وهران. وقد توصلنا لنتيجة أن الاحتلال الإسباني لوهران كان عبئا على التاج الإسباني، كلف الخزينة الإسبانية أموالا طائلة دون مقابل ملموس، ولا ربح مادي مثل المناطق التي احتلتها إسبانيا في العالم الجديد، وإنما تمسك التاج الإسباني بوهران كان لحسابات جيوستراتيجية، لم يعد لها وزن في القرن 12هـ/18م.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

- ابن سحنون الراشدي أحمد (1973)، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم: المهدي بوعبدلي، الجزائر (قسنطينة)، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.
- ابن ميمون محمد (1981)، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الطبعة 2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ابن هطال التلمساني أحمد (1969)، **رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، القاهرة، عالم الكتب.
- أبو راس الناصر محمد (1886)، **شرح الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية (مخطوط رقم 3182، قرص مرن 24**، نسخ العربي الحرشاوي في 1304هـ/14 أوت 1886)، الجزائر، المكتبة الوطنية الجزائر.

- أبو راس الناصر محمد (2005)، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، الجزء 1، تقديم وتحقيق المخطوط من طرف محمد غالم، الجزائر، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية CRASC.

- الجامعي عبد الرحمان الفاسي (د.ت)، **تحرير وهران (مخطوط رقم 5113، نسخ النصف الثاني من القرن 13هـ/19م)**، باريس، المكتبة الوطنية.

- الجامعي عبد الرحمان الفاسي (2003)، **فتح مدينة وهران: تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني خلال القرن 18م من خلال مخطوطتين**، تحقيق: مختار حساني، الجزائر، جامعة الجزائر، مخبر المخطوطات.

- الزياتي عبد العزيز (د.ت)، **الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، باب الجهاد (مخطوط رقم 1698د)**، الجزء 2، الرباط، المكتبة الوطنية.

- الزياني محمد بن يوسف (1972)، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق: المهدي بوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- العروي عبد الله (1999)، **مجمل تاريخ المغرب، الجزء 3: من الغزو الإيبيري إلى التحرير**، الدار البيضاء-بيروت، المركز الثقافي العربي.

- كارديك لوي (1983)، **الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون (المجابهة الجدلية: 1492-1640) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا**، تعريب وتقديم: عبد الجليل التميمي، تونس، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية.

- المشرفي عبد القادر (د.ت)، **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

- المزاري الآغا بن عودة (2009)، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19**، تحقيق ودراسة: يحيى بوعزيز، جزء 1، طبعة خاصة، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

- Aramburu (1978), **Oran et l'ouest algérien au 18ème siècle d'après le rapport Aramburu**, présentation et traduction: Med El Korso et Mikel De Elpaza, Alger, Publication de la Bibliothèque Nationale.

- Braudel Fernand (1966), **La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe 2**, tome 2, 2ème édition revue et corrigé, Paris, Armond Collin.

- Davity Pierre (1636), **Description générale de l'Afrique**, seconde partie du monde avec tous ses empires, royaumes états et républiques, Paris, Claude Sonnius libraire.

- Julien Ch. A. (1956), **Histoire de l'Afrique du Nord (Tunisie-Algérie-Maroc) de la conquête arabe à 1830**, tome 2, 2ème édition revue et mise a jour par Roger le Tourneau, Paris, Payot.

- Mercier Ernest (1888), **Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)**, tome second, Paris, Ernest Leroux Editeur.

- Merouche Lemnouar (2000), **Recherche sur l'Algérie à l'époque ottomane : 1. Monnaies**, prix et revenus 1520-1830, Alger, EDIF.

- Ruff Paul (1998), **La domination espagnole à Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete 1534-1558,** présentation de Chantal De La Véronne, France, Éditions Bouchene.

الأطروحات:

– بعارسية صباح (2006)، **حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر.

– بعارسية صباح (2015)، **مواقف الحكام والعلماء من المتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، الجزائر.

المقالات:

– بلبروات بن عتو (2003)، **التحرير الثاني والنهائي لوهران والمرسى الكبير عام 1206هـ/1792م**، عصور، المجلد 2، العدد 1، ص ص 151–158.

– بلحميسي مولاي (1975)، **نهاية دولة بني زيان**، الأصالة، العدد 26، السنة 4.

– التميمي عبد الجليل (1978)، "**الخلفية الدينية للصراع الإسباني–العثماني على الإيالات المغربية في القرن 16**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 10– 11.

- Berbrugger Adrien (1866), **Mers El-Kebir et Oran de 1509 a 1588 d'après Diégo Suarez Montanes**, Revue Africaine, volume 10, pp. 197-207.

- Berbrugger Adrien (1869), **Oran sous les Espagnoles. Traduction de rapports officiels espagnols sur la prise de Mers-el-Kebir en 1505**, Revue Africaine, volume 13, N° 74, pp. 100-115.

- Braudel Fernand (1928), **Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 a1577**, Revue Africaine, volume 69, pp. 184-233.

- Cazenave J. (1922), **Les présides espagnols d'Afrique (leur organisation au 18ème siècle**, Revue Africaine, volume 63, pp. 225-269.

- Féraud Charles (1873), **Lettres arabes de l'époque de l'occupation espagnole en Algérie**, Revue Africaine, volume 17, pp. 313-321.

- Gorgous A. (1858), **Notice sur le bey d'Oran Med El Kebir**, Revue Africaine, volume 1, pp. 223-241.

- Grammont H.D.De (1882), **Un épisode diplomatique à Alger au 17ème siècle**, Revue Africaine, volume 26, pp. 130-138 .

- Guin L. (1886), **Quelques notes sur les entreprises des Espagnoles pendant la 1er occupation d'Oran Xème siècle de l'hégire**, Revue Africaine, volume 30, pp. 313-322.

- Haëdo Diégo (1880), **Histoire des rois d'Alger**, Revue Africaine, volume 24, pp. 37-69.

- Sandoval C.X. de (1872**), Les inscriptions d'Oran et de Mers-El-Kebir**, Revue Africaine, volume 16, pp. 53-69 et pp. 187-200.

- Valléjo Don José (1925), **Contribution à l'histoire du vieil Oran: Mémoire sur l'état et la valeur des places d'Oran et de Mers El Kebir écrit en 1734**, Revue Africaine, volume 66, pp. 323-368.

- Yver George (1906), Revue d'Histoire Africaine, Revue Africaine, volume 50, pp. 103-131.

المداخلات:

- Veronne Ch. De la (26,27,28 novembre 1983), **Population de la région oranaise entre 1551 et 1577 d'après des sources espagnoles**, Acte du 3ème congrès d'histoire et de la civilisation du Maghreb: le monde rural maghrébin communautés et stratification sociale, tome 1, laboratoire d'histoire, université d'Oran, Alger.

مواقع الأنترنيت:

– غالم محمد (2018)، **تحرير وهران في 27 فبراير 1792: الحدث والرمز**، https://journals.openedition.org/insaniyat/18488, consulté le 22/2/2023.

- BNF Data (2023), Diego Suárez Corvin Montanès (1552-1617), https://data.bnf.fr/fr/15120603/diego_suarez_corvin_montanes/, consulté le 18/2/2023 à 18.06.